بعض من سيرة ميشيل كيلو مع «المعارضة السورية»

ماجد كيالي
كاتب وسياسي فلسطيني

بداية فقد وضعت كلمتي "المعارضة السورية" بين مزدوجين، كنوع من تحفّظ، أو بهدف التوضيح، لأن تلك التسمية هي دلالة على أجسام عديدة واسعة، إذ لا تقتصر على ما يسمى "الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية"، أي الجهة التي تحتكر تمثيل المعارضة رسميا والتي تأسّست بمداخلات إقليمية، وليس نتيجة لحراكات قوى المعارضة السورية التاريخية والمعروفة، والتي باتت تحرص على تغطية مداخلات تركيا وتمثل مصالحها في الشأن السوري، أكثر بكثير ممّا تحرص على سلامة مسار ثورة السوريين وتمثل مصالحهم.

التوضيح يتعلق أيضا بغياب كيان سياسي جامع يمثل المعارضة الحقيقية التي تمثل مصالح أغلبية السوريين، ذلك أن النظام الذي حكم البلد لأكثر من نصف قرن (في عهد الأسدين)، احتكر السياسة وصادر الحريات وحرم الأحزاب السياسية (إلا ما تم تدجينه في ما يسمى الجبهة الوطنية التقدمية)، لذا فقد كان من الطبيعي أن افتقاد الحراكات الشعبية السورية لقيادة أو لكيان سياسي جامع ومجرّب يعبّر عنها ويمثلها ويدير كفاحها من أجل التغيير نحو دولة المؤسسات والقانون وحقوق المواطنة والنظام الديمقراطي.

وعليه، فقد يمكننا تفسير المكانة المتميزة التي استحقها ميشيل كيلو الإنسان والمثقف والمناضل الذي غادر الدنيا قبل أيام، في المشفى في منفاه الفرنسي، إذ ثمة كثر لا يدركون بأن هذا الرجل لم يتبوأ أيّ مكانة قيادية في الكيانات السورية المعارضة، ولا كان مقرراً في مساراتها أو خياراتها. وضمن ذلك فهو لم يكن في تشكيلة المجلس الوطني السوري الذي تشكل كقيادة للمعارضة (أواخر 2011)، ولم ينضو في "الائتلاف الوطني" الذي خلف الكيان السابق (أواخر 2012) إلا في ما يسمى "التوسعة" (صيف 2013)، ولكنه بعد ثلاثة أعوام قدم استقالته منه، بعد أن يئس من إمكانية إصلاحه، وعبّر عن ذلك علنا في وثيقة أصدرها مع مجموعة من رفاقه (أواخر العام 2016) عنوانها "نداء إلى شعبنا السوري.. وجهة نظر نقدية لتصحيح مسارات الثورة السورية..."، وقّع عليها المئات.

ففي تلك الوثيقة التي توضّح مواقف ميشيل كيلو تم التأكيد على ضرورة "قطع" المعارضة السورية "مع عديد من الأوهام والمراهنات الخطأ.. بشجاعة أخلاقية وبمسؤولية وطنية.."، والتي تمثلت أولاً في "التعويل على الخارج والارتهان لأجنداته بدل التعويل على إمكانيات شعبنا، ووضع أولوياته وحاجاته فوق كل اعتبار. وتصعيد العمل المسلح بطريقة غير محسوبة أو مدروسة". ثانياً، "شيوع وهم مفاده أن إسقاط النظام لن يتم إلا بالسلاح وحده مع تأكيد أن الدفع في اتجاه العسكرة أي تشكيل بعض الدول لفصائل عسكرية، رغم أن النظام يتحمّل المسؤولية الأساسية عن ذلك، جاء نتيجة "التلاعبات الخارجية بالثورة للسيطرة عليها والتحكم بتداعياتها وفرض أجندة معينة على خطاباتها وأشكال عملها مما أضر بها وبصدقيتها، كما أضر بشعبنا.. فالدول ليست جمعيات خيرية، وهي تعمل لأجندتها ومصالحها، وكان الأجدى للثورة أن تشق مسارها وأشكال كفاحها حسب إمكانيات شعبها..". ثالثاً، وهم المراهنة على "جبهة النصرة (فتح الشام لاحقاً) وأخواتها، إذ أن هذا الفصيل الذي نشأ بشكل مريب.. نتيجة لتلاعبات خارجية، وهو لم يحسب نفسه يوما على الثورة، بل إنه ناهض مقاصدها علناً، براياته وخطاباته ونمط تعامله مع البيئات الشعبية.. الأمر الذي خدم النظام.."

بيد أن كيلو بعد هذه المواقف وتلك الاستقالة لم يعتكف في منزله ولم ينح نحو التنظير، إذ ظل مصمما على مواصلة طريقه بحيوية عالية عبر الكتابة وبث الرسائل الصوتية، وعبر التواصل مع قطاع واسع من المعارف رغم سنه المتقدمة (81 عاما).

هكذا، استحق ميشيل كيلو مكانته المتميزة كعلم من أعلام المعارضة السورية وكمثقف شجاع وكمفكر نقدي يستعصي على الغياب، بحيث بات قبلة كثيرين داخل سوريا وخارجها، وعلى الصعيدين الشعبي والرسمي كصاحب رأي حر، وقد اشتهر بإطلالاته التلفزيونية بالذكاء السياسي وسرعة بديهة، مع صوت جهوري يتميز به، وبلهجته الشامية واللاذقانية. والأهم من كل ذلك أنه كشخصية معارضة برز نجمه في عهد حافظ الأسد، لاسيما في كلمته المتميزة والجريئة في ندوة كان نظمها النظام للاطلاع على رأي المثقفين في مقر اتحاد الكتاب العرب (1979)، التي تحولت إلى ندوة لمحاكمة النظام أو لفضحه؛ وهو الأمر الذي دفع ثمنه سجنا لقرابة عام ونصف العام، أول مرة (عهد الأسد الأب)، وفي المرة الثانية سجنا لثلاثة أعوام (عهد الأسد الابن).

إضافة إلى جرأته في مواجهة السلطة تميز كيلو بالبساطة والتواضع مع الآخرين، سواء الذين يعرفهم أو لا يعرفهم، كما تميز عن المثقفين الآخرين بالانخراط، من الناحية العملية، في العمل السياسي، وإن من خارج الأحزاب، إذ كان غالبا المباد أو أحد المبادرين، إلى خلق منابر للمعارضة، مثل بيان المئة، أو بيان الألف، أو بيان بيروت ـ دمشق، أو لجان إحياء المجتمع المدني (2000 ـ 2005)، ناهيك أنه لم يكف يوما عن الكتابة حتى يومه الأخير.

> **ميشيل كيلو استحق مكانته كعلم من أعلام المعارضة وكمثقف شجاع وكمفكر نقدي يستعصي على الغياب بحيث بات قبلة كثيرين داخل سوريا وخارجها وكصاحب رأي حر**

والمعنى من كلّ ما تقدم أن كيلو كان يشكل قيمة رمزية بحد ذاته، إذ أنه صنع نفسه وصنع تاريخه ومنبع قوّته يكمن في قيمه وجرأته واستقامته واستقلاليته وتصميمه على الكفاح من أجل استعادة شعبه لحريته وكرامته.

رحل ميشيل كيلو عن عمر 81 عاما والقضية السورية تزداد تعقيدا بعد أن باتت سوريا مكانا للتصارع الإقليمي والدولي، وبرحيله فقد الشعب السوري واحدا من أهم أعلامه ومن أهم صناع تاريخه الحديث، لاسيما تاريخ التمرد على نظام الأسد، وفقدت بذلك المعارضة رمزها المعنوي الأهم، وربما الأكثر شهرة وشعبية وثقافة ونبلاً.

سوريا.. مجلس للنظام وليس للشعب

بهاء العوام
صحافي سوري

مر عقد كامل على الأزمة السورية، تغيرت خلاله الهوية الديموغرافية والجغرافية للدولة كثيراً، ولكن "مجلس الشعب" بقي على حاله. في الواقع، هو لم يمثل السوريين منذ وصول عائلة الأسد إلى السلطة. كان ولازال مجرد حلقات من المصفقين لـ"الرئيس"، فقط من أجل راتب شهري، أو لوحة سيارة، أو فتات من الكسب غير المشروع.

وفق الأمم المتحدة أسفرت الحرب في سوريا حتى الآن عن أربعمائة ألف قتيل، وأكثر من سبعة ملايين نازح داخل البلاد، ونحو ستة ملايين لاجئ خارجها، فضلا عن مئات الآلاف من المعتقلين. كما أدت الحرب لاستنزاف البنى التحتية، وشلت مجمل مضامير الحياة، وكل هذا بسبب "الرئيس" الذي يريد "مجلس الشعب" أن يمنحه ولاية رابعة، ليكمل تدمير البلاد، وينهي أيّ أمل للسوريين في استعادة دولتهم.

هذا المجلس الذي قاد العمل الوطني إبان الاحتلال الفرنسي وترأسته شخصيات مثل فارس خوري، أصبح أداة للسلطة، وعاش خمسة عقود تحت وصاية "آل الأسد". لا ينسى السوريون كيف استدعي أعضاؤه عام 2000 على عجل ليعدّلوا الدستور على مقاس بشار الأسد كي يخلف والده في رئاسة "الجمهورية". ولا ينسوا أيضا كيف وقف "البرلمانيون" يصفقون لـ"الرئيس" وهو يقهقه على وقع القمع والقتل الذي مارسه في الأيام الأولى للثورة عام 2011.

في الذكرى الأخيرة لاستقلال سوريا عن الفرنسيين خرج "مجلس الشعب" ببيان يتحدث فيه عن "تكالب قوى الشر والعدوان والإرهاب مع أذناب العمالة والخيانة والتآمر والتضليل على سوريا في محاولة لتخريب وتدمير المنجزات التي حققتها على مدى سنين طويلة".

لا يملك أحد من أعضاء المجلس أن يذكر منجزاً واحداً لـ"سوريا الأسد"، فهي لم تعرف على مدار نصف قرن إلا سلسلة متصلة من الجرائم بحق السوريين، بزعم مواجهة "المؤامرات الكونية" التي يحيكها العالم ضدهم.

يطلب "البرلمان" من الطاغية البقاء في الحكم. ولا عجب في هذا؛ في زمن البعث هذا هو الشرط اللازم لتدخل "مجلس الشعب" وتعمّر فيه. أما التعبير عن صوت الناس ومطالبهم فهذا آخر ما تحتاجه، لأنه قد يصل بك إلى السجن كما حدث مع النائب رياض سيف عام 2001، عندما فتح ملف شبكة الخليوي وقال إن الفساد فيه يضيع على خزينة الدولة نحو 7 مليار دولار في ذلك الوقت.

> **إجادة فن «المعارضة» حرفة يحتاجها عضو «مجلس الشعب» فالاعتراض يجب أن لا يمس بالرئيس الأسد وأن يشير بلباقة إلى الفساد والمحسوبية دون ذكر شخصيات بعينها والأهم من هذا وذاك أن لا «يوهن نفسية الأمة» ولا يتجاهل المؤامرة الكونية» على البلاد**

أهم المهارات التي تحتاجها كعضو في "مجلس الشعب" التطبيل والتصفيق. وإن كنت تملك موهبة التعبير عن إعجابك بـ"حكمة وشجاعة الرئيس" شعراً أو نثراً أو هتافاً، فهذا يضمن لك الديمومة تحت قبة المجلس. ويُضربُ المثلُ في نائب قال يوما "إن حكم سوريا قليل على بشار الأسد، وهو يجب أن يحكم العالم".

إجادة فن "المعارضة" في ظل حكم الأسود حرفة يحتاجها عضو "مجلس الشعب" أيضاً، فالاعتراض يجب أن لا يمس بالرئيس ولا بأذرعه المالية والأمنية. كما أنه يجب أن يشير بلباقة إلى الفساد والمحسوبية دون ذكر شخصيات بعينها.

والأهم من هذا وذاك أن لا "يوهن نفسية الأمة" ولا يتجاهل "المؤامرة الكونية" على البلاد.

هذه الثوابت عاشت عليها أجيال من أعضاء "مجلس الشعب". هناك وجوه كثيرة لم تتغير لأربع دورات متتالية، ولكن ذلك لا يهم طالما أن النواب لا يملكون من أمرهم إلا بقدر ما يسمح النظام.

من باب الإنصاف، لا بد من الإشارة إلى متغير وحيد طرأ على "مجلس الشعب" خلال سنوات الحرب، فقد بات يضم بين صفوفه أزلاما لأمراء الحرب وإيران وروسيا إلى جانب أزلام النظام التقليديين. هؤلاء جميعهم يراعون سقف المنافسة بينهم لأن المصلحة واحدة في بقاء النظام الذي يعتاشون على فساده، ولكنّ ولاءهم لمرجعياتهم بات لا يقل أهمية عن ولائهم للنظام. هم ينفذون أجندة من يوظفهم كأعضاء في المجلس، ولا يهمهم إن كانت هذه الأجندة تتعارض مع مصلحة البلاد ومستقبل السوريين.

نواب المحتلين إن جازت تسميتهم، يسافرون إلى طهران أو موسكو بين فترة وأخرى لجمع الأموال وتلقي التوجيهات، أما نواب أمراء الحرب فالأموال والتعليمات تصلهم إلى مكاتبهم، كما هو حال الأعضاء الممثلين للنظام بحزبه وأمنه وجيشه. أما القلة التي لم تفلح في تمثيل أيّ من الأطراف الأربعة رسميا، فهي تكتفي بالمعاشات ومميزات عضوية المجلس.

بخارطة انتماءاته التي رسمتها الحرب على مدار عقد كامل، دعا "مجلس الشعب" إلى انتخابات رئاسية جديدة في السادس والعشرين من مايو المقبل. وبتعبير أدق أطلق المجلس استفتاءً جديدا مضمون النتائج من أجل منح الأسد سبعة أعوام جديدة، ومنح النظام الذي يديره أمراء الحرب وروسيا وإيران سبعة أعوام أخرى، فيما يواصل أعضاء المجلس سرقاتهم وفسادهم وانتهازيتهم وهم يصفقون ويطبلون للأسد ومشغليهم.

ولأن عضوية "مجلس الشعب" ليست إجبارية ولا يوجد ما يبرر سلوك النواب وقراراتهم، لا يمكن تبرئة أيّ عضو من المسؤولية الأخلاقية على الأقل، فيما جرى ويجري خلال سنوات الحرب. كل من اختار أن يشارك في برلمان الدمى طوال هذه السنوات، عليه أن يدرك أنه ساهم في خراب سوريا وما طال سكانها من موت وتشريد وفقر، وعليه أن يعتذر يوما عن كل مرة صفق أو هتف أو ضحك فيها بوجه الطاغية.

صراع حلفاء الأمس في الشرق السوري

غسان إبراهيم
إعلامي سوري

تستعد روسيا للتمركز في شرق سوريا بعد أن كان تركيزها على غرب البلاد في مراحل تواجدها الأولى عندما كانت المهمة إنقاذ نظام الأسد. ومع تغير المهمة أصبح التواجد في الشطر الآخر أولوية موسكو الجديدة.

والحجة جاهزة وهي داعش الذي تحرك مؤخراً هناك، بينما الحقيقة أبعد من ذلك، فما تريده روسيا في شرق البلاد له أبعاد كثيرة.

التنافس بين حلفاء الأمس أصبح مبرراً من الجانبين، فروسيا التي تريد أن تكون صاحبة الكلمة الأخيرة في سوريا تواجه الموقف الإيراني الذي يرى أنهم أسياد اللعبة، فهم من أحضر الروس لمهمة إنقاذ النظام، فكيف تتحول المهمة لمسيطر على المشهد، وكيف يمكن أن تخرج إيران جانباً؟

والروس الذين اعتمدوا على الإيرانيين في مرحلة الحرب عبر ميليشيات متعددة الأشكال والولاءات لم تعد لهم حاجة بهم اليوم. بل أصبحوا عبئاً على البلاد. وأصبحت إيران ككل مصدر إزعاج. فروسيا التي تطرق أبواب الدول العربية لإعادة النظام السوري إلى الجامعة العربية وتمويل إعادة الإعمار تصطدم بحائط عربي رافض للوجود الإيراني.

الحاجة للتقارب أصبحت حاجة للابتعاد، والأجندة التي وحدتهما أصبحت تفرقهما اليوم عبر أجندة جديدة تتطلب إنقاذ النظام ليس من المعارضة هذه المرة، بل من عزلة دولية تخنقه سياسياً وتضعفه اقتصادياً وتفككه استراتيجياً.

ما جمع الطرفين انتهى، وبدأت مهمة جديدة من الصراع الهادئ على النفوذ، كما أن انعدام الثقة يتزايد يوماً بعد يوم. والتضارب بين الطرفين مرتبط بخيط رفيع ليس من مصلحة أحدهما أن يقطعه. فروسيا التي تضغط على إيران بشكل محسوب ترفض زيادة الجرعة لأنها تعلم أن الإيراني أيضا لديه من الأوراق في سوريا ما يزيد عمّا في جعبتها.

فلا يمكننا أن نتوقع صراعا مباشرا، فإيران التي تتمسك بوجودها الاستراتيجي تقهقرها هناك يعني انكفائها إلى العراق وربما إلى ما وراء حدودها. سوريا بالنسبة إليها الحصن الأول لمشروعها التوسعي وبوابتها إلى المتوسط. بينما الروسي يفكر بعقلية استراتيجية تتجاوز الأشخاص عبر توقيعها اتفاقات طويلة المدى مع النظام السوري، وتريد سوريا منصة لتواجد استراتيجي ينافس التواجد الأميركي في المنطقة.

هذه التطلعات بعيدة المدى تنطلق بتحركات صغيرة وتدريجية لتفرض نفوذها على أغلب المناطق السورية، وفي هذا الإطار الكبير تأتي التحركات الصغيرة في دير الزور.

التواجد الروسي الجديد هناك أصغر من أن يوصف بقاعدة عسكرية وأكبر من نقطة عسكرية تقليدية، يكاد يكون تشكيلاً عسكرياً فريداً له مهمة التدخل السريع في شرق البلاد.

هذه المنطقة التي تخضع لنفوذ النظام السوري شكلياً تدار من قبل ميليشيات إيرانية أو سورية تعمل بالنيابة عن الإيرانيين نتيجة مغريات تجذب الشباب للعمل في صفوفها مع تدهور الوضع الاقتصادي. كما يحدّ هذه المنطقة قوات سوريا الديمقراطية التي يقودها المكون الكردي السوري الذي لا تثق روسيا به لتمسكه بعلاقات وطيدة مع الجانب الأميركي.

وجود الروس في المنطقة محاولة لجذب الشباب السوري لصفها بدلاً من ميليشيات طائفية تعمل بأجندات دينية متشددة.

ودخول الروس هناك يعني منافسة إيران في منطقة تعتبر بوابتها التي تربط العراق بسوريا لتكون ممر إيران نحو العمق السوري. وقد يتحول هذا الوجود العسكري الروسي للعب دور شرطي على مرور الإيرانيين براً ومراقبة وضبط من يدخل ويخرج على المدى الأبعد.

كما ستستخدم موسكو هذا الوجود العسكري لحماية ما يشتريه النظام من النفط السوري من الأكراد، ومنع اليد الإيرانية من السيطرة على ما يتركه الأميركيون من مصادر طاقة.

وهذا التواجد العسكري يأتي في وقت قد تحاول فيه إيران الوصول إلى صفقات مع الأميركيين ليس فقط على الملف النووي، بل ربما وجودها في سوريا وما يمكنها السيطرة عليه هناك.

فبينما موسكو لا ترى أملاً قريباً لتفاهمات مع واشنطن، لن تترد طهران في ضمان نفوذها في سوريا عبر تفاهماتها المقبلة مع واشنطن إن حدثت.

ما يجعل التنافس بين البلدين يصل مرحلة حرجة تمنع روسيا من تحويل وجودها الجديد إلى قاعدة كبيرة وبنفس الوقت تكلفها بمهام أكبر. فحجة محاربة داعش لا تقلق أحداً وتلقى ترحيباً من الجميع، والهدف أبعد من ذلك بكثير.

هذا لا يعني أن الإيرانيين سيستسلمون ويقدمون المنطقة للروس، فالجميع يتذكر الجنوب السوري الذي من المفترض أن يديره الفيلق الخامس التابع شكلياً لجيش النظام وعملياً للروس، وكيف استطاعت إيران عبر ميليشياتها والفرقة الرابعة الموالية لها اختراق المنطقة من جديد، وعدم التزامها بتفاهمات روسية بخصوص تلك المنطقة.

المنافسة بين الطرفين تسير بدم بارد وبحركات بطيئة كلاعب شطرنج يحاول محاصرة الخصم، حركة روسية صغيرة في الشرق، لا يمكن الاستهانة بها أو الرد عليها من الطرف الآخر.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk